كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

بالخفض على قياس تمييز «كم» الخبرية ، وبالنصب على اللغة التميمية ، أو على تقديرها استفهامية استفهام تهكم [1] .

ويكفي هذان النموذجان — ومثلهما كثير — للدلالة على ما نحن بصدده من اعتبار القياس عاملا مرجحا بين لهجات القبائل ، فسيبويه يرجح لغة تميم على لغة الحجاز في أسلوب الحكاية ، يدل عليه استخدامه «أفعل التفضيل» على غير بابه «وهو أقيس القولين» دلالة على شدة ميله إليه ورغبته فيه ، لأن القياس هنا يقتضي الرفع على أساس المبتدأ والخبر في (من زيد) فهو قياس واحد ، واستخدامه أسلوب التفضيل دلالة على الترجيح في الظاهرة اللهجية نفسها لا في القياس فيها

أما ابن هشام فيرى عكس ذلك في ترجيح لغة الحجازيين على لغة التميميين في تمييز «كم» الخبرية ، لأن الخفض — في رأيه — هو القياس ، ويدل على هذا الترجيح ما بدأ به كلامه من نسبة «الزعم» إلى من ينسب إلى تميم النصب في التمييز ، ثم محاولته أخيرا صرف رواية النصب في بيت الفرزدق إلى وجه آخر ، باعتبار أن «كم» استفهامية لا خبرية ، وذلك كله يدل على ترجيحه خفض التمييز الذي هو القياس .

هذا الموقف الفرعي لاحترام النحاة القياس جزء من موقفهم العام منه ، فقد وضع النحاة الأقيسة بناء على ملاحظة استعمال الكلام العربي في الأعم الأغلب ، ثم حكموه في الاستعمال وفي آرائهم أيضا . ولقد وصلت المبالغة في النظر إلى علاقة القياس باللهجات إلى حد افتراض وضعه في الأصل

---

(١) المغني جـ ١ ص ١٨٥ .